

ISSN: 2392-5442, EISSN: 2602-540X		مجلة المنظومة الرياضية
المجلد: 13 العدد: 01 السنة: 2026		مجلة علمية دولية تصدر بجامعة الجلفة - الجزائر
الصفحات: 818-806		تاريخ الإرسال: 2026-01-18 تاريخ القبول: 2026-02-24

الاستدامة في الحرف اليدوية ودورها في الحفاظ على التراث وتعزيز الأبعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

Sustainability in handicrafts and its role in preserving heritage and enhancing cultural, social and economic dimensions

عادل ميلاد الوشاني

جامعة الملك فيصل – السعودية -

adelmiledouechani@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الدراسة الحرف اليدوية بوصفها منظومة حضارية متكاملة تتجاوز كونها نشاطاً إنتاجياً تقليدياً، لتغدو تعبيراً عميقاً عن العلاقة التفاعلية بين الإنسان وبيئته وثقافته واقتصاده. وتنطلق الدراسة من مقارنة سوسيولوجية وثقافية ونفسية ترى في الحرفة اليدوية ممارسة إنسانية تحمل أبعاداً رمزية ووجدانية، وتؤدي دوراً محورياً في حفظ التراث الثقافي، وتعزيز الهوية الجماعية، وتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي للحرفي. كما تسلط الضوء على إسهام الحرف اليدوية في ترسيخ مبادئ الاستدامة البيئية والاقتصادية، من خلال اعتمادها على موارد طبيعية محلية، وآليات إنتاج رشيدة، ومنطق الاقتصاد الإبداعي والدائري. وتناقش الدراسة موقع الحرف اليدوية في السياق المعاصر، مع إبراز التجربة السعودية في إعادة إدماجها ضمن السياسات الثقافية والتنمية في إطار رؤية المملكة 2030، بوصفها رافداً للهوية الوطنية والتنوع الاقتصادي. وتخلص الدراسة إلى أن الحرف اليدوية ليست بقايا ماضي منقضي، بل مورداً استراتيجياً للمستقبل، يستدعي سياسات تكاملية تجمع بين الحفاظ والابتكار والتمكين والرقمنة، بما يضمن استدامتها حضارياً واقتصادياً.

الكلمات المفتاحية: الحرف اليدوية، الاستدامة، الهوية الثقافية، الاقتصاد الإبداعي، التراث

*المؤلف المرسل adelmiledouechani@gmail.com

Abstract:

This study examines handicrafts as an integrated civilizational system that transcends their conventional perception as merely traditional productive activities, positioning them instead as a profound expression of the interactive relationship between humans, their environment, culture, and economy. Adopting sociological, cultural, and psychological perspectives, the study views handicrafts as human practices embedded with symbolic and emotional dimensions, playing a crucial role in preserving cultural heritage, reinforcing collective identity, and promoting psychological and social balance among artisans. The research also highlights the contribution of handicrafts to environmental and economic sustainability through the use of local natural resources, rational production methods, and the principles of the creative and circular economy. Furthermore, it explores the contemporary repositioning of handicrafts, with particular attention to the Saudi experience within the framework of Vision 2030, where handicrafts are reintegrated into cultural and developmental policies as drivers of national identity and economic diversification. The study concludes that handicrafts are not remnants of a bygone past, but strategic resources for the future, requiring integrated policies that combine preservation, innovation, empowerment, and digital transformation to ensure their long-term sustainability.

Keywords: Handicrafts, Sustainability, Cultural Identity, Creative Economy, Heritage

1. مقدمة:

يجب هذا العصر الذي تكاد تسيطر فيه الآلة على مختلف منتجات الانسان، وخاصة منها الاقتصادية، من خلال كميات الإنتاج الضخمة وخطوط الإنتاج النمطية والتوحيد القياسي المفتقر للحس الجمالي واللمسة الانسانية¹، تظل الحرف اليدوية محافظة على بقية عزيزة، بالمعنيين العاطفي والاقتصادي، من قيم العمل الإنساني الكامل غير المبتور بالآلة ولا المطموس بها.

إن ما يميّز به العمل الحرفي اليدوي ويتميز من امتداد المنتج لصاحبه وتجانسه معه، وخاصة ما يدور عليه من رضى داخلي، يعكس ارتباطاً عميقاً بين الإنسان وعمله، وتوازناً متيناً بينه وبين موارد بيئته.

فالمنتج الحرفي لا يُعبّر فقط عن إبداع يدوي، بل يعبر عن اتصال وثيق بين الحرفي وموارد بيئته مثل الخوص والخشب والطين والصوف والوبر... التي هي المواد الأولية لإنتاجه. أما أدوات صنعه وآلاته فهي مزيج متكامل من يدين ورجلين وفكر وذوق ومشاعر، وجميعها تجسد الطاقات والملكات الأساسية الخالصة للعمل الإنساني. وحتى في حال خالطت الآلة يدي الحرفي قليلاً، فإن عمله يبقى يدوياً كما تقرّ بذلك اليونيسكو، طالما كانت المساهمة اليدوية المباشرة هي الجوهر وهي المكوّن الأهم للمنتج النهائي².

إن العمل الحرفي يعني بالأساس الإخلاص لمهنة واحدة على مدى طويل من الزمن والتعمق فيها بهدف إتقانها وإنجازها بأعلى مستوى من الكفاءة. ويُصنف هذا العمل في علوم الإدارة المعاصرة باعتباره نموًا في نفس الموضوع. (Ingrown)³ لكن النمو في نفس الموضوع هنا لا يعني الانغلاق الاقتصادي أو عدم الانفتاح على الأسواق الخارجية والامتناع عن التطور أو العجز عنه. بل يعني مراكمة التجربة الحرفية الإبداعية إلى أبعد حد ممكن ، ولا حدود للإبداع هنا. ثم يتم عرض المصنوع الحرفي على الآخرين ليكتشفوا من خلاله مهارات الحرفي الإنسانية الخالصة، دون حاجة هذا الأخير إلى الدفاع عن مستوى إبداعه، إذ يكفي أن يشير إلى منتجه اليدوي ليشهد له على تفرد مهارته وأصالته ابتكاره. إن الحرف اليدوية تشيد بصاحبها أكثر مما يشيد بها. إنها دالة إبداعه ودلالته.

الحرفة في اللغة العربية تعني الصناعة، وحرفة الرجل هي صناعته. وتوجد هذه اللغة الحرفي، فهو "محرف" إذا نما ماله، أما إذا ازدهر بعد فقر فقد أحرف.

أما في اللاتينية، فـ "Artifex" هو الشخص الذي يمارس حرفة أو مهنة يدوية بمهارات فنية عالية. حيث تعني كلمة "ars" "فن" أو "مهارة"، وتعني اللازمة "fex" "الصانع أو المنتج".⁴

وفي قاموس الأكاديمية الفرنسية، يُعرّف "الحرفي" (Artisan) "على أنه شخص يُنتج سلعًا يدوية ذات قيمة فنية أو تقليدية، ويتميز عمله بالكفاءة والإبداع، ويعتمد على تقنيات وآلات بسيطة متوارثة".⁵

وتعلمنا الشواهد التاريخية والتراثية للحضارات القديمة أن الحرفيين كانوا هم البناة الفعليين لهذه الحضارات؛ فهم الذين شكلوا اللبنة الأساسية في إنشاء المدن القديمة، حيث كانت مهاراتهم ضرورية لبناء المساكن ودور العبادة والتحصينات، وصناعة الأدوات والأثاث والزخرفيات وكل الضروريات اليومية التي قامت عليها الحياة الحضارية وازدهارها. لقد ابتكروا كل تقنيات بقاء الإنسان ومختلف أدواته. حتى أن القول أن كل المجتمعات مدنية لحرفيها هو عين الصواب.

وفي الإسلام، تم تكريم الحرف والحرفيين في أشخاص الرسل والأنبياء أنفسهم حيث اشتغل العديد منهم في صنائع وحرف يدوية مختلفة، فقد عمل نوح عليه السلام في النجارة وصناعة السفن، وداود عليه السلام في صناعة الدروع وزردها، وزكريا عليه السلام في النجارة، وإدريس عليه السلام في الخياطة. وحتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كان، كما تذكر عائشة رضي الله عنها، يخصف نعله ويخيط ثوبه. وفي ذلك دلالة على شرف هذه المهن والصنائع.

وبناءً على هذه المنطلقات، يصبح ربط الاستدامة بالحرف اليدوية قضية اجتماعية شاملة حيث تتجاوز مجرد الحفاظ على التراث، لتجسد علاقة أكثر توازنًا بين الإنسان ومختلف مكونات بيئته. إذ يشكل ذلك أساسًا لإعادة التفكير في سبل الاستدامة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. فالاستدامة، وهنا نتوقف قليلًا عند هذا المفهوم، ليست مجرد توجه بيئي ترفي أو موضوع للبخ الفكري، بل هي فلسفة اعتدال بين احتياجات الإنسان وحماية البيئة، نشأت خيار لا مفر منه ولا مندوحة عنه لضمان بقاء هذا النوع البيولوجي أي الإنسان، الذي يواجه خطر الاندثار بسبب ما أقدم عليه هو نفسه، ولا يزال، في حق ذاته وفي حق الأجيال القادمة من تدمير لموارد البيئة الطبيعية التي يعتمد عليها للاستمرار في الوجود⁶ مجانبا بذلك صواب الوعي بالحقيقة الصاعدة عاليًا بأن الإنسان يرث الأرض من أجداده ولكنه، أيضًا، يقترضها من أطفاله⁷.

إننا في حاجة إلى أيكولوجيا عميقة بالمعنى الذي حدده أرني ناي⁸، تكشف عن خطورة الوضع البيئي الذي نعيشه اليوم، وتوضح أننا نتشارك في ثقافة كلية، تقنية صناعية تساهم في تدهور شروط حياتنا وحياء الأجيال القادمة، وذلك نتيجة ارتباطنا بالجانب المادي الانتهازي الصرف للطبيعة وهو الجانب الذي يجلب لنا الرفاه الأثافي الذي يهمل حق الأجيال القادمة في الرفاه المستدام وكذلك حق كل بقية الكائنات الأخرى...

من هنا، تكتسب الحرف اليدوية أهمية خاصة، إذ تمثل أنموذجاً فعلياً لهذه الإيكولوجيا العميقة من خلال ارتباطها الوثيق بالمواد الطبيعية والمهارات التقليدية التي تتناقلها الأجيال وتتوارثها. هذه الحرف ليست مجرد ممارسات ثقافية بل هي وسيلة فعالة وناجعة لإعادة بناء علاقة الإنسان بالطبيعة، حيث تشكل جزءاً من استدامة ثقافية واجتماعية واقتصادية قائمة على التفاعل الرشيد مع البيئة.

وتعتبر العديد من الدول حول العالم الحرف اليدوية جزءاً لا يتجزأ من تراثها الثقافي والاقتصادي، وتسعى من خلال برامج وسياسات تنموية دقيقة ومنضبطة إلى الحفاظ على هذا التراث وتعزيز دور الصناعات الحرفية في التنمية المستدامة. وفي هذا السياق، تنضم المملكة العربية السعودية إلى هذا التوجه العالمي من خلال رؤية 2030، التي تضع الفنون والحرف اليدوية في مقدمة أولوياتها الثقافية والاقتصادية وذلك بالاستثمار في هذا القطاع بما يتماشى مع أهداف التنمية المستدامة والشاملة،

وفي ظل هذه الخلفية المفاهيمية للحرف والاستدامة، والتي تتشابه بشكل وثيق مع التراث الثقافي والاقتصادي الغني الذي تمثله الحرف اليدوية، نسعى في هذه الورقة العلمية إلى تقديم أفكار وأطروحات حول دورها في الحفاظ على التراث وتعزيز الأبعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات المحلية.

ولكن قبل ذلك نرى أن اكتمال البناء المعرفي للدراسة، واستواء قوامها المنهجي يقتضيان معالجة دور الحرف اليدوية في تعزيز البعد النفسي للحرفي ذاته وذلك قبل أن ندرس دورها في تعزيز بقية الأبعاد الخارجة عنه

1. دور الحرف اليدوية في التعزيز النفسي للحرفي

إن النشاط الانتاجي للحرفي ليس مجرد حركات يحكمها الزمن في سلسلة من المهام الصغيرة المجزأة، والتي تتكامل في تجربتها كما نطّر لذلك فريدريك تايلور في نظريته حول الإدارة العلمية للعمل والعمل المتسلسل.. إن عمل الحرفي مفعم بكلية الحركة والإنتاج والمعنى، فهو يمتلك زمن عمله وأدواته وحتى مداخله، وهو ملّم بطبائع مواد إنتاجه فهي من محيطه.

إنه سيد عمله بالمعنى الدقيق للكلمة، وهو بذلك أبعد ما يكون عن الاغتراب في العمل. فهو ليس في حالة فقدان للاتصال مع المنتج النهائي للعمل الأمر الذي يشعره بأنه مجرد ترس في آلة صناعية كبيرة لا يدرك كلية إنتاجها. بالعكس تماماً إنه في حالة اتصال عاطفي مع مهنته يدرك حرفياً وتفصيلياً كل ما ينتجه، بل ويدرك نفسه في هذا المنتج، إذ يرى فيه حقيقته الإنسانية المبدعة ماثلة أمامه ويعيش خلال صنعه ما يعرف في علم النفس بـ "الذهن الحاضر (Mindfulness)" أي الانتباه التام الذي يوصله بأعمق أعماق ذاته، فيعبّر في ابداعاته عن مختلف خوافيه وخوالبه وأحاسيسه ومشاعره، فيصعد

ويحوّل ويسقط كل توتراته وقلاقل نفسه وضغوطاته. إن العمل هنا يصبح دفاعات نفسية توازنية واعية ولا واعية تقوي التفاهم ولانسجام مع الذات وتخفف الضغوطات وتعزز المنة. لنشر هنا أن مدارس علاجية نفسية هامة تنصح بممارسة الحرف والفنون اليدوية في العلاج النفسي، مثل مدرسة العلاج السلوكي المعرفي (CBT)، ومدرسة العلاج بالفن (Art Therapy). كما ألفت في هذا الموضوع دراسات علمية عديدة⁹.

كما أن العمل الجماعي في إطار الحرف اليدوية يساهم في تنمية الروابط العاطفية الجماعية بما يخلقه من اهتمامات وأهداف وذكريات مشتركة. فالذين يشتغلون في نفس الورشة الحرفية، يتقاسمون العمل وظروفه وصعوباته وذائقته وكل المشاعر التي تغمر إنجازهم، الأمر الذي يخلق بينهم هوية مهنية عاطفية جماعية¹⁰، ترجمتها التفاعلية العاطفية التواد والإعزاز والتعزيز والتساند، فتضعف مشاعر الوحدة وتتعزيز مشاعر الانتماء والإحاطة والأمان، كما تقوى قيمة العمل عندهم ومعناه، ويتعزز شعورهم بالهدف المشترك. وفي هذا الإطار يدرسنا علم نفس العمل مبلغ ما يحققه رضا الإنسان على عمله من توازن معنوي، واستقرار نفسي، وشعور بالجدوى والفعالية.

إن الحرف اليدوية هي اختيار ممتاز لمن يريد أن يحيى بكل طاقته، ويتفاعل بكل عواطفه، متحرراً من البرود المهني والفردانية القاسية التي تستوطن قلب الحياة الاقتصادية الرأسمالية المعاصرة.

هذا بخصوص دور الحرف اليدوية في التعزيز النفسي، فما هو دورها في الحفاظ على التراث؟

2. الحرف اليدوية ودورها في الحفاظ على التراث.

تُعد الحرف اليدوية منظومة معرفية تطبيقية ذات بعد إنتاجي عملي. وهي بمعنى من المعاني حامل مادي للذاكرة الجماعية، تُساهم في استدامة التراث الثقافي غير المادي عبر آليات النقل والترسيخ الاجتماعي. إنها عامل تفعيل مستمر للتراث. وكما يقول عالم الإناسة الفرنسي كلود ليفي شتراوس: "فإن الثقافة هي نظام من الرموز والمعاني، يتم تناقله عبر الأجيال"¹¹، وهذا يوضح كيف أن الحرف اليدوية لا تُحفظ فقط بل يحافظ عليها باعتبارها ليست مجرد منتجات نهائية للاستهلاك الأصم وإنما هي متجددة باستمرار وتشكل جزءاً حيوياً من التراث الثقافي المتطور للمجتمع، ومن ثم تمريرها وتوريثها كجزء من الرموز الثقافية التي تحمل معاني وأبعاداً اجتماعية وحضارية عريقة بكل معاني العراقة من قدم عهد وكرامة نسب ورفعة أصل.

إن الحرف اليدوية هي تقنية من تقنيات الجسد. وتقنيات الجسد بصفة عامة، ومختلف أنشطته وحركاته هي كما يؤكد مارسال موس جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي للمجتمع¹². غير أن الحرف اليدوية هي تقنية جسدية منتجة اقتصادياً ومؤصلة ثقافياً. فالحرفي مثلاً وهي ينسج على منسجه بيديه وأصابعه وبمختلف حركاته، إنما يحفظ مهارات تراثية وتقانات تقليدية من الاندثار، ويحرس الهوية الثقافية وتحفظها، ويوصل بما يخططه على الأقمشة، وينسجه من تصاميم شتى وأشكال مختلفة وزخارف وألوان متنوعة بعض رموز المجتمع الثقافية وتجدها.

إن جسد الحرفي يتبادل أثناء عمله الانتاجي الفني بشكل مستمر المعاني والدلالات بينه وبين كل الماضي التراثي للحرفة، فيعزز كل منهما الآخر، فالفن يمتلك خاصية استثنائية هي عبور المسافات الزمانية¹³ فهو يبدأ دائماً من جديد¹⁴.

الاستدامة في الحرف اليدوية ودورها في الحفاظ على التراث وتعزيز الأبعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

ونتيجة لهذا التفاعل تصبح حركات الجسد نفسها نافذة تفتح على التراث، فيجسده تذكاريًا في بعده المادي المحسوس. ويذكر به تخيلًا باسترجاع صوره الماضية ومختلف الذكريات الحنينية المرتبطة به.

إن الحرف اليدوية ليست مجرد منتجات مادية، بل هي آليات بالغة الحيوية والفعالية لإعادة إنتاج التراث بما هو مكون أساسي من مكونات الهوية الثقافية للمجتمع، فمن خلال تجديد الرموز والمعاني المتأصلة في الذاكرة الجماعية، يقوم الحرفيون بتجديد التراث وتحويله إلى تعابير معاصرة، الأمر الذي يضمن استمرارية الهوية الثقافية وتفاعلها مع السياقات المتغيرة، كما أن تناقل المهارات والتقنيات الحرفية بين الأجيال لا ينقل فقط المعرفة العملية، بل ينقل أيضًا القصص والروايات الشعبية التي حفت بتلك الحرف، والقيم التي رقت بها والتي تشكل جوهر الهوية الثقافية، وكل ذلك يعزز الفخر بالتراث والشعور بالانتماء له والانتماء، ويساهم في تماسك الهوية الجماعية وتوثيقها.

إن الحديث عن الهوية الثقافية والجماعية، يفتح الباب للسؤال عن

3. دور الحرف اليدوية في تعزيز الروابط الاجتماعية والثقافة.

تعزز الحرف اليدوية الروابط الثقافية والاجتماعية في المستويين المحلي والعالمي

• ماذا عن المستوى المحلي.

إن الحرف اليدوية ليست مجرد منتجات تراثية يعاد إنتاجها بتكرار روتيني لأهداف ربحية تجارية صرفه، بل هي لغة بصرية رمزية، تُعبّر عن التصورات التي تُشكل رؤية المجتمع للعالم. فمن خلال الألوان والأشكال والرموز والمواد المستخدمة، يُعبّر الحرفيون عن كثير من تجارب المجتمع ومعتقداته، ويُجسّدون رؤيته للواقع.

وبالاستفادة من نظرية الفيلسوف مارتن هايدغر من أن "الفن هو تحقيق للحقيقة". فإننا نقول إن الفنون والحرف اليدوية، تحمل في طياتها جزءًا من هوية المجتمع، وتساهم في تجلية بعض خوافي هذه الهوية، وتُعبّر عن الحقائق الإنسانية العميقة. فهي ليست مجرد انعكاس للواقع، بل هي إعادة تشكيل له وإعادة تفسير وفهم وتخيّل.

فالعَمَل الحرفي اليدوي المُوغَل في التراث يحمل رموزًا ومعاني ثقافية عميقة، تتجاوز الدلالات الظاهرية لتشمل طبقات متراكمة عبر الزمن من المعاني. وهو ينبئنا بأشياء عن الماضي تفهمنا أدواره المختلفة التي كان يؤديها، فنكتسب بذلك معرفة ببعض التاريخ، الأمر الذي يجعلنا نبني فرضية نظمنا لصحتها مفادها أن العمل الحرفي اليدوي التقليدي هو بمعنى من المعاني وثيقة تاريخية تعكس وتشهد في نفس الوقت على أسلوب حياة الناس ومهارات إنتاجهم في فترات زمنية معينة.

إن الفن الكامن في الحرف اليدوية ليس موضوع رفض أو قبول، وإنما هو موضوع تفاعل وتجاوز حيث تتوقّر بمناسبته فضاءات للتفاعل والتواصل بين أفراد المجتمع مثل ورش العمل والأسواق والمعارض والمهرجانات ومختلف الفعاليات الفنية والحرفية، التي هي أماكن سانحة للكينونة معا والتعارف وربط العلاقات وتبادل الخبرات والمعارف وإشباع الحاجات وتكريس قيم العيش المشترك والاحتفال الضمني بالهوية المشتركة.

وكما أكد عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم، "من أن الوعي الجماعي هو مجموعة المعتقدات والمشاعر المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد". فإن الفنون والحرف اليدوية، من خلال تثمين المعارف المحلية والاحتفاء بالتقاليد المشتركة، تُساهم في تعزيز هذا الوعي الجماعي، وتوحيد المجتمع حول هويته الخاصة، وتُقوّي نوعاً من الشعور الجماعي المعتزّ حدّ التمدّح بتاريخ واحد ومسرد تراث واحد وذاكرة جماعية واحدة. وفي كلمة شمالة: هوية وطنية ثقافية تاريخية واحدة. هذا في المستوى المحلي..

• فماذا عن المستوى العالمي.

تبتعد دوائر التأثير الثقافي والاجتماعي للحرف اليدوية كثيراً حيث تتجاوز البعد المحلي إلى البعد العالمي. فهي في قراءة من القراءات، تمثل مصدراً للتفاعل الثقافي بين الشعوب وأرضية للتعرف فيما بينها. كما تعيد تشكيل الإدراك النفسي للسائح حول التنوع الثقافي والاختلاف والغيرية الثقافية.

ففي إطار ما نسميه في إحدى دراساتنا المنوال السياحي القائم على أساس العرض،¹⁵ يتم التعاطي مع السياحة كفرصة للتعرف والتضاييف، أما الريح المادي فهو بدهة حاصلة، فتعرض مجتمعات الاستقبال السياحي على السياح حرفها اليدوية ومختلف فنونها وابداعاتها الشعبية، باعتبارها منتجات نابعة من خصوصيات الثقافية وعراقتها التاريخية واثرائها الحضاري وعاكسة لكل ذلك، فترسم بذلك عن نفسها، أي عن ثقافتها وحضارتها، صورة لدى السائح حقيقية، وتبني له عنها أحكاماً واقعية، تلغي ما كان يحملها من صور نمطية وأحكام ما قبلية كثيراً ما تكون مغلوطة وحتى مشوهة.¹⁶

إن الحرف اليدوية ومختلف الابداعات الشعبية تحقق بعضاً من مقاصد التعرف، فالسياح حينما يعاينونها مباشرة ويكتشفون خصوصياتها ومكان التميز والتمايز والخصوصية والابداع فيها، إنما يندمجون في التجربة الثقافية والاجتماعية لإنتاجها، فيكتشفون الخلفية الثقافية والحضارية والبيئية والجمالية والذوقية لمنتجاتها وذلك على أساس القاعدة التي تقول "كل مصنوع يعكس صانعه".

أن هذه المنتجات والابداعات اليدوية تحقق التعرف بين الشعوب بما هو علم هذه الشعوب بأحوال بعضها البعض وصفات وعادات وتقاليد وأفكار وقيم ومعتقدات بعضها البعض. فالشعوب يحكمها قانون التجاذب والتعارف ولا يحكمها قانون التباعد والتجاهل مصداقاً لقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا؛ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"¹⁷

فهذه الحرف ترى، بما يبتعث بمناسبتها من أسواق وفعاليات واحتفاليات ومعارض يحضرها السياح، أرضية تفاعلية وبيئة تعارفية مباشرة بين هؤلاء السياح والأهالي وذلك على قاعدة خلي بين الناس والناس يتعرفون ويتعارفون عن كتب على بعضهم البعض في وضعيات تبادلية مباشرة، وفي سياقات تواصلية مشتركة تزيل الحواجز النفسية والافتقار للفهم المتبادل، وتبديد التصورات المسبقة وتحقق التعرف الحقيقي بما يعنيه من اكتشاف للآخر وقبول به واعتراف بحقه في الاختلاف.¹⁸...

نصل هنا إلى الحرف اليدوية ودورها في تعزيز الاقتصاد

4. الحرف اليدوية ودورها في تعزيز الاقتصاد.

الاستدامة في الحرف اليدوية ودورها في الحفاظ على التراث وتعزيز الأبعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

تتجاوز قيمة الحرف اليدوية كونها نشاطاً اقتصادياً تقليدياً، لتصبح محركاً للتنمية المستدامة، ومصدراً هاماً لتوفير فرص العمل، وتعزيز الاقتصاد المحلي وحتى العالمي. فيما تحمله من إبداعات ومهارات يدوية، تُشكل جزءاً أساسياً من "الاقتصاد الإبداعي" **creative economy** بالمعنى الذي وضعه جون هوكينز، والذي يعتمد على خلق قيمة اقتصادية من خلال استخدام الخيال الإبداعي للرفع في قيمة الفكرة¹⁹. فالحرف اليدوية أساسها أفكاراً أبدعها خيال الحرفي وحولها بيديه إلى منتجات ذات قيمة وظيفية استعمالية وذات قيمة اقتصادية تبادلية في اقتصاد السوق.

وفي هذا السياق، تتجلى أهمية الحرف اليدوية كمصدر للدخل وتوفير فرص العمل، خاصة في المجتمعات المحلية والريفية، حيث تُعتبر مصدراً رئيسياً للدخل للعديد من الأسر. فدعم هذا القطاع يُساهم، إذا، في تحسين مستوى المعيشة لهذه المجتمعات، وتقليل معدلات البطالة فيها.

كما تتأكد القيمة الاقتصادية للحرف اليدوية فيما تتيحه من عمل وإنتاج لشرائح مختلفة من المجتمع سواء كانوا شباباً أو كهولاً أو شيوخاً ذكوراً أو إناثاً.

هذا الاتساع الدال سوسيولوجياً لدائرة النشاطين في قطاع الحرف اليدوية، سببه أن تعلم الحرفة لا يتطلب بالضرورة خبرات أكاديمية متقدمة أو مهارات تكنولوجية معقدة، بل يتحقق عبر التدريب التوريثي في إطار الأسرة وعبر التجربة، أو من خلال برنامج تدريبي رسمي سهل وفي متناول الجميع، مما يجعلها مناسبة لمختلف الشرائح العمرية والفئات الاجتماعية بمن في ذلك أصحاب الاحتياجات الخصوصية وكل الذين تحول ظروفهم الصحية أو الاجتماعية أن يشاركوا بنشاط في سوق العمل الرسمية خارج بيئاتهم المحلية المرنة.

كما تعتبر الحرف اليدوية فرصة نجاح ثانية شبه مضمونة لكل الذين لم يحالفهم النجاح في الدراسة وتسربوا بدون نيل شهادات وخبرات وتوظيفية.

أما المرأة فإن نسبة اشتغالها في قطاع الحرف اليدوية تفوق نسبة اشتغال الرجل، فقد بينت الدراسات أن النساء العاملات في الاقتصاد الوطني في دول العالم الإسلامي، يتركز دورهن بشكل خاص في قطاع الحرف اليدوية فهن يشغلن حوالي 80% من هذا القطاع²⁰.

علاوة على ذلك، تُعتبر الحرف اليدوية عامل جذب وتمكين للسياحة الثقافية، وهي من أهم أنماط السياحة في العالم اليوم، حيث يبحث السياح عن المنتجات ذات الخصوصية التي تُعبر عن الهوية الثقافية للمجتمعات المحلية. فتطوير قطاع الحرف اليدوية يُساهم في تطوير قطاع السياحة الثقافية، وهو قطاع بالغ الربحية ومعزز استراتيجي للاقتصاد الوطني. نصل هنا إلى العنصر الموالي:

5. الحرف اليدوية في المملكة العربية السعودية واستراتيجيات التنمية المستدامة

تُمثل الحرف اليدوية في المملكة العربية السعودية، أكثر من مجرد منتجات تقليدية، إنها شاهد مادي موضوعي على العمق التاريخي للمملكة وثراء تراثها وتنوع قيمها الثقافية والابداعية.

وتتجلى أهمية هذا القطاع في التخطيط الاستراتيجي للمملكة أو ما يعرف بالرؤية 2030.

لقد وضعت هذه الرؤية قطاع الحرف في جوهر استراتيجياتها التنموية، بغرض تنوع مصادر الدخل، وخلق فرص العمل، وتحقيق التنمية الشاملة.

إن هذا الاهتمام اقتضته أهمية مسرد الحرف اليدوية التراثية في المملكة حيث تتميز كل منطقة بحرفها التقليدية الفريدة، التي تعكس خصوصية البيئة المحلية والموارد الطبيعية المتاحة، فضلاً عن إبراز الحس الانتاجي الإبداعي لأبناء تلك المناطق.

ففي منطقة الرياض نجد حياكة السدو والبناء بالطين وصناعة المنتجات الخوصية والزلال. وفي المنطقة الشرقية نجد صناعة البشوت والفخار والخصويات وشبابيك وأقفاس الصيد البحري. وفي منطقة نجران نجد صناعة الجنباني والحرف الجلدية والصناعات الفخارية والنسيج وفي منطقة مكة المكرمة نجد صناعة السبح باستخدام خشب العنبر وصناعة العطور وفي المنطقة الشمالية نجد في المدينة المنورة صناعات الفخار والغزل والنسيج وصناعة القوارب. وفي الجنوب نجد الحرف الزراعية مثل الأدوات اليدوية والمنسوجات. وإنتاج العسل. ونقش القط العسيري. وفي منطقة القصيم نجد صناعة الصحاف الخشبية والمنتجات الخوصية. وأدوات الزراعة القديمة²¹.

نحن، حقيقة، بصدد لوحة فسيفسائية متجانسة للحرف، أي بصدد نموذج للتنوع الحرفي العنقودي المتناسق، والذي تتناغم فيه المكونات وتتكامل، حيث تتميز كل منطقة بخصوصيات الحرفية اليدوية التي تتكامل مع بقية المناطق، وهو ما يمكن أن نسميه بالتنوع المتجانس في إطار الوحدة.

إن الحرف اليدوية ليست مجرد عمل إنتاجي، بل هي تعبير حقيقي عن الذات وعامل تحقيق للرضا الداخلي. وهذا يتجلى بوضوح في الحرف السعودية، فحرفة "السدو" مثلاً التي تمارسها نساء البدو، تعبر عن ارتباطهن الوثيق بالبيئة الصحراوية، وقدرتهن على تحويل موادها الأولية إلى منتجات فنية ذات قيمة استعمالية وظيفية ذوقية جمالية.

وقد أدرجت اليونسكو فن حياكة السدو ضمن قائمتها للتراث الثقافي غير المادي سنة 2020،²² الأمر الذي يؤكد على أهمية هذه الحرفة في التراث الإنساني.

إن هذا الإدراج، بما هو اعتراف رسمي أممي، يضيف بعداً نفسياً واجتماعياً هاماً لفضائل الحرف اليدوية السعودية. فحياكة السدو ليست مجرد مهارة يدوية، بل هي علامة حضارية للمجتمع وعنوان مساهمة في الابداع الإنساني.

إن البعد الاقتصادي للحرف اليدوية السعودية يُعد ركيزة أساسية في مخططاتها التنموية التي تهدف إلى تنوع مصادر الدخل والتخفيف الاستراتيجي من التعويل على النفط، وخلق فرص عمل مستدامة. ولتحقيق هذه الأهداف، قامت المملكة بتحديث القوانين والتشريعات الخاصة بقطاع الحرف والصناعات اليدوية، وإنشاء سجل وطني للحرف والحرفيين يضم جميع أصول وأنواع التراث الحرفي في المملكة ووضعت خطة ترويجية على مستوى دولي لقيمة التراث الحرفي والتوعية بأهمية أصوله التاريخية وحصر مواقع الحرف والصناعات اليدوية، وتأهيلها، واستغلالها تجارياً، وتحفيز الاستثمار بها وخلق فرص العمل. وتحديد أهم الأصول التراثية الحرفية التي من شأنها أن تمثل رموزاً عالمية لهوية المملكة والقيم التي تمثلها أمام المجتمع الدولي. والانضمام إلى حملة «اليونسكو» العالمية لصون التراث الحرفي وتسجيل أنواع متباينة من الحرف في قائمة

التراث العالمي، ووضع قوانين للملكية الفكرية وتطبيقها. وإنشاء مراكز للإبداع الحرفي في كافة مناطق المملكة. وتكليف هيئة التراث بأنشطة الحصر والأرشفة والتثقيف والتدريب والتخطيط وتقديم الاستشارات الحكومية لقطاع الحرف والصناعات اليدوية"²³

هذه المنظومة المتكاملة من البرامج والتشريعات والمؤسسات تبين أن الحرف اليدوية في المملكة العربية السعودية يتجاوز الوعي الرسمي بها كونها منتجات تقليدية إلى الوعي بأنها تشكل رافدًا اقتصاديًا وثقافيًا استراتيجيًا. إن هذا القطاع، الذي يركز على إرث ثقافي غني، يمتلك كل مقومات النمو المستدام، مدعومًا بالاستثمارات الحكومية والمبادرات النوعية التي تهدف إلى تطوير البنية التحتية، وتحفيز الابتكار، وتعزيز القدرة التنافسية للمنتجات الحرفية السعودية في الأسواق المحلية والعالمية.

كما أنه ركيزة مضمونة لمنوال سياحي ثقافي نوعي يمكن أن يدرج المملكة في مرتبة متقدمة في سلم أهم وجهات السياحة الثقافية في العالم.

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة التي استكشفنا من خلالها تداخلات الاستدامة في نسيج الحرف اليدوية، نجد أنفسنا بصدد تشكل أطروحة تتجاوز مجرد التقييم الاقتصادي أو الثقافي. لتفتح علامات فهم واستفهام على مدى قدرة الإنسان الحديث، وخاصة استعداده لإعادة تعريف علاقته بالوجود، عبر ممارسات تتجاوز الاستهلاك النفعي الجسدي البراغماتي الضيق، نحو إنتاج المعنى والقيمة.

إن الحرف اليدوية، في اعتقادنا، ليست مجرد تقنيات أو منتجات، بل هي أنساق رمزية، تعيد إنتاج علاقة الإنسان بمحيطه الطبيعي والاجتماعي. إنها، كما يراها عالم الاجتماع مارسيل موس، "تقنيات جسدية"، حاملة لرموز ودلالات تعيد تشكيل الذاكرة الجماعية، وتنسج روابط بين الأجيال.

ومن منظور فلسفي، يمكننا النظر إلى الحرف اليدوية كفعل وجودي، يعيد الإنسان من خلاله تأكيد حضوره في العالم. إنها، كما يرى مارتن هايدغر، "تحقيق للحقيقة"، عبر خلق منتجات تحمل في طياتها جزءًا من هوية المجتمع، وتكشف عن جوانب خفية من الواقع.

واقتصاديًا، تتجاوز الحرف اليدوية كونها مجرد نشاط تقليدي، لتصبح رافدًا للاقتصاد الإبداعي، الذي يعتمد على إنتاج القيمة من خلال المعرفة والإبداع. إنها، كما يرى روبرت بوتنام، "رأس مال اجتماعي"، يعزز التماسك الاجتماعي، ويساهم في تحقيق التنمية المستدامة.

لكن الأهم من ذلك، أن الحرف اليدوية تدعونا إلى إعادة التفكير في علاقتنا بالطبيعة. إنها، كما يرى آرني نايس، "أيكولوجيا عميقة"، تكشف عن خطورة النموذج الاستهلاكي الذي يهدد استدامة الحياة على الأرض. وتذكرنا بأننا لسنا كل نسج البيئة ولسنا كل كائنات هذا الوجود وإنما نحن جزء من ذلك فقط، وأن علينا أن نعيش في انسجام مع الطبيعة ومع

سائر المخلوقات، وتفتح الآية الكريمة التالية الفهم على أحد أسرار هذا الانسجام العميق بين جميع الكائنات: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ). صدق الله مولانا العظيم

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

- ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.
- عباس، عبد الكريم. (2013). *العلاقات الزوجية والتوافق الأسري*. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- عبد الله، أحمد بن محمد. (2016). *علم اجتماع الأسرة*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الغنامي، عبد الله بن حسين. (2024). التحولات الثقافية المعاصرة وتأثيرها على التوافق الزوجي. *مجلة العلوم الاجتماعية*، 52(1)، 113-145.
- الرقيعي، فهد بن عبد الله. (2015). الطلاق المبكر في المجتمع السعودي: دراسة اجتماعية تحليلية. الرياض: مكتبة الرشيد.
- السريحي، محمد بن علي. (2020). *المشكلات الزوجية المعاصرة في المجتمع السعودي*. جدة: دار جامعة الملك سعود للنشر.
- الشهراني، عبد الرحمن بن سعيد. (2022). التحولات الأسرية في المجتمع السعودي في ضوء التغيرات الاجتماعية. *مجلة جامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية*، 23(2)، 121-89.
- عثمان، محمد عبد الرحمن. (2009). *الأسرة والزواج في الإسلام*. القاهرة: دار السلام.
- بلميهوب، محمد. (2010). *التوافق الزوجي وعلاقته بالصحة النفسية*. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر.
- بلميهوب، محمد. (2012). *علم نفس الأسرة والزواج*. الجزائر: دار المعرفة.
- سعدي، عبد القادر. (2010). *التحولات الثقافية في المجتمعات العربية المعاصرة*. الجزائر: دار الفجر للنشر.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Bachelard, G. (1957). *La poétique de l'espace*. Paris: Presses Universitaires de France.
- Barthes, R. (1957). *Mythologies*. Paris: Seuil.
- Castells, M. (1996). *The Rise of the Network Society*. Oxford: Blackwell.
- Hawkes, J. (2001). *The Fourth Pillar of Sustainability: Culture's Essential Role in Public Planning*. Melbourne: Cultural Development Network.
- Lynch, K. (1960). *The Image of the City*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Naess, A. (1989). *Ecology, Community and Lifestyle*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Pine, B. J., & Gilmore, J. H. (1999). *The Experience Economy*. Boston: Harvard Business School Press.

الاستدامة في الحرف اليدوية ودورها في الحفاظ على التراث وتعزيز الأبعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

- Putnam, R. D. (2000). *Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community*. New York: Simon & Schuster.
- UNESCO. (2003). *Convention for the Safeguarding of the Intangible Cultural Heritage*. Paris: UNESCO.
- UNESCO. (2019). *Culture and Sustainable Development*. Paris: UNESCO Publishing.

¹ Matthew B. Crawford: The case for the manual trades; in the new Atlantis; Summer 2006.

<https://www.thenewatlantis.com/publications/shop-class-as-soulcraft>

² UIS.UNESCO. (1982). Artisanat ou produits de l'artisanat. Consulté le 2025/03/23, sur UNESCO: <http://uis.unesco.org/fr/glossary-term/artisanat-ou-produits-de-lartisanat>

³ Matthew B. Crawford

مصدر مذكور سابقاً.

⁴ Wiktionnaire. Mot Artifex. <https://fr.wiktionary.org/wiki/artifex>.

تاريخ الزيارة: 2025/03/21

⁵Dictionnaire de l'Académie française, 6^e édition, tome 1, page 111. <https://www.dictionnaire-academie.fr/article/A6A1878>

تاريخ الزيارة: 2025/03/21

⁶ LUKAS DIBLASIO BROCHARD: LE DÉVELOPPEMENT DURABLE : ENJEUX DE DÉFINITION ET DE MESURABILITÉ, MÉMOIRE PRÉSENTÉ COMME EXIGENCE PARTIELLE DE LA MAÎTRISE EN SCIENCE POLITIQUE. UNIVERSITÉ DU QUÉBEC À MONTRÉAL Service des bibliothèques. JUIN 2011.P1. Disponible en ligne : <https://2u.pw/J2laKKpd>.

أنظر:

⁷ Jacques Cousteau ,Frédéric Dumas :The Silent World ,Harper & Brothers Publishers ,1953

⁸ أنظر: بلقصور مصطفى، بن علي محمد: الايكولوجيا العميقة لأرني نابيس: رؤية جديدة لعلاقة الإنسان بالطبيعة. دراسة مذكورة سابقاً.

⁹ أنظر مثلاً: Rishita Nagpal, Rita Kumar: The Impact of Artistic Expression on Emotional Intelligence: A Clinical Case; Clinical Case Study. International Journal of Indian Psychology, 12(4); 2024 <https://doi.org/10.25215/1204.125>

¹⁰ حول العمل المشترك في مجموعات صغيرة وآثاره على الثقة والوعي الذاتي والمحفزات العاطفية و السلامة النفسية أنظر : John Ballatt Penelope Campling :The emotional life of teams. Published online by Cambridge University Press: 01 January 2018: <https://2u.pw/Gkv9X>

¹¹ أنظر : Claude Lévi-Strauss, *Les structures élémentaires de la parenté*, Paris, EHESS, coll. « En temps et lieux », 2017, 617 p., 1^{ère} éd. 1949

¹² أنظر مارسال موس: تقنيات الجسد. دار الكتاب الجديد بيروت. 2019

¹³ أنظر: رحابي جميلة: الفن، الحقيقة واقع التجلي في هرمينوطيقا غدامير، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية،

المجلد 15 / العدد 02 ديسمبر 2025 ص 01-17

¹⁴ أنظر: غدامير، هانس جورج، تجلي الجميل ومقالات أخرى، تحرير: روبرت برناسكوني، تر: سعيد توفيق،

- المشروع القومي للترجمة، 2016 ص 18- 46 ورد في رحابي جميلة، مصدر مذكور سابقاً، ص: 01-17
- ¹⁵ هذا المنوال يقارب السياحة مقارنة كلية شاملة. فهي ليست ظاهرة اقتصادية استثمارية رأسمالية فقط وإنما هي ظاهرة اقتصادية اجتماعية ثقافية حضارية دينية أخلاقية جمالية ذوقية بيئية.....
- ¹⁶ أنظر: عادل الوشاني: أساسيات علمية للظاهرة السياحية، التاريخ والهوية والمناويل، منشورات مكتبة علاء الدين صفاقس 2016
- ¹⁷ سورة الحجرات، الآية 13
- ¹⁸ عادل الوشاني، صورة العربي لدى السائح الغربي بين المتخيل النمطي والتعارف الواقعي، مجلة المداد، جامعة زيان عاشور جلفة الجزائر، 2024.
- ¹⁹ نوزاد عبد الرحمن الهبتي، الاقتصاد الإبداعي وأهميته في تحقيق التنمية. مركز البيان للدراسات والتخطيط، 2023، ص 4.
- ²⁰ وكالة الأنباء السعودية: إصدار جديد لـ "أرسیکا" بعنوان "البعد التنموي للمرأة في الحرف اليدوية الإسلامية، المؤلف نزيه طالب. نشر في 17/05/1440، تاريخ الزيارة 2025/04/01. <https://www.spa.gov.sa/w825226>.
- ²¹ موقع Sotheby's: أبرز الحرف اليدوية التي تشتهر بها السعودية.. تاريخ الزيارة: 2025/4/3. <https://sothebysrealty.sa/ar>
- ²² موقع الشرق الأوسط: «اليونيسكو» تُسجل «حياكة السدو» ضمن قائمتها للتراث الثقافي غير المادي. نُشر في 16 ديسمبر 2020، تاريخ الزيارة: 2025/4/3. <https://2u.pw/FH6GQ>.
- ²³ كل ما ورد بين طفرين أخذناه من: هيئة التراث: قطاع الحرف والصناعات اليدوية. موقع وزارة الثقافة. تاريخ الزيارة 2025/4/3 , <https://culturalhub.moc.gov.sa/ar-SA/HeritageBookListing/HeritageBook?id=E7F51A79-C48B-4ED1-B964-9FF014434490>